خصوصا أكثر من أي مرة سبقت، حينما شرحت الوثيقة فهمها للبنان «**كضرورة شرق أوسطية**»، اذ قالت: «**لأن قيام نظام سلمي تفاعلي بين شعوب الشرق الأوسط أمر محتم، ولأن للبنان في وسط هذا النظام دورا فعالا...**».

من هي الشعوب التي تقصدها الجبهة، مؤكدة حتمية التفاعل بينها، مرشحة لبنان للقيام بدور فعال في مجال تفاعلها؟

إذا كانت «اسرائيل» داخلة في هذا الاطار، على الجبهة عندئذ أن تعلن ذلك، ثم عليها أن تشرح لنا كيف سيتم هذا التفاعل، وعلى حساب من وماذا، ثم عليها أن توضح لنا الدور الفعال الذي تهيىء لبنان للقيام به؟ ولا بد من تذكيرها بأن من يرى أن «**المشكلة الاساسية والأولى في الشرق الأوسط بل في آسيا وأفريقيا، بل ما هو أوسع من آسيا وأفريقيا هي مشكلة الاقليات الدينية**» لا يمكن برأينا أن يكون مؤهلا للقيام بأي دور في مشكلة الشرق الأوسط الحقيقية، وهي بمشكلة فلسطين. اننا عكس الجبهة، نرى انها في تحليلها وطروحاتها، تجرد لبنان الذي نعرف من امكانيته التقليدية في أن يلعب دوراً حضارياً وذلك بعد تحويله الى فيديرالية أقليات طائفية.

وتضاعفت مخاوفنا حول هذه النقطة بالذات عندما وصلنا بقراءتنا لشرح الجبهة «**لضرورة لبنان العالمية**»: اذ ورد ما يلي: «**ولبنان عامل تلطيف وتقريب بين شعوب الشرق الأوسط وحضاراته. والشرق الأوسط كان دائما، وهو اليوم على الأخص، عالميا من حيث الدين والاقتصاد والمركز الاستراتيجي والتاريخ**».

ان هذه «**العالمية**» التي تسبغها الوثيقة على «**الشرق الأوسط**»، تكاد تمسح الوجه القومي لهذه المنطقة، وكأنها مشاع دولي ونوع من «**المناطق الحرة**» أو «**صالات الترانزيت**»!!

هذه المنطقة لأصحابها، لشعوبها، للذين لا يعرفون وطنا آخر لهم غيرها. انها لمن ارتضوا لانفسهم أن يسموا عربا فاعتزوا به اسماً لهم يعرفون به بين الشعوب والامم. وبسبب هذا الجذر من أي تفسير لهذه المقولة، فاننا نعود لنثير التساؤل حول مقولة أخرى كنا آثرنا المرور عليها دون أي توقف. فلقد ورد في البند الرابع فقرة تقول: «**ان البحر الأبيض المتوسط كان طوال التاريخ مجالا حيويا للغرب كما كان الغرب مجالا حيويا للبحر الابيض المتوسط**»... ان معرفتنا بالتاريخ تشير الى استعمار أوروبي غربي بغيض للبحر الابيض المتوسط، لكل شواطئه الجنوبية والشرقية... ولكنها لا تشير الى احتلال متوسطي لأي من دول أوروبا... ولقد انتهينا من الاستعمار، أو لعلنا ما زلنا نحاول تصفيته الى الأبد، بما في ذلك تعبير «**المجال الحيوي**» الذي اعتمده هتلر عندما اجتاح أوروبا. ولا أظن أننا بحاجة لنؤكد لاوروبا أننا من جهتنا لا نطمع بأي «مجال حيوي» لنا في بلادها!!

«**البند السابع: لبنان عالمي انساني**».

كلما مضى القارىء في مطالعة هذه الوثيقة وأوغل في بنودها تثبت مخاوفه وتتأكد. لأن ما تمر عليه الوثيقة في بداياتها، ببراءة مصطنعة، تعود فيما بعد لتكشف مضامينه الحقيقية غير المقبولة لدينا.